

أسس الدعوة إلى الله ومقاصدها من خلال دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه - دراسة موضوعية تحليلية.

تاريخ استلام المقال: 2017/05/18 تاريخ قبول المقال للنشر: 2018/03/29

الطبيب صفية طالب دكتوراه بجامعة باتنة -1-
د.نورة بن حسن بجامعة باتنة -1-

الملخص:

يتناول هذا البحث النظر في دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه، من خلال نصوص القرآن الكريم قصد الوقوف على أهم أسس ومقاصد الدعوة إلى الله التي ينبغي على الداعية مراعاتها في نشاطه الدعوي. فكان المنهج الموضوعي القائم على الاستقراء في جمع المادة العلمية، ثم التحليل للوصول إلى النتائج الأنسب لهذه الدراسة.

فتبين أنّ من أسباب قيام دعوته عليه السلام استفحال ظلم الحاكم وإفساده. لذلك كان غرضها الأساسي الدعوة إلى التوحيد والإصلاح. وقد جمعت شخصية الداعية كل عوامل ومقومات النجاح؛ الجسدية والعقدية والأخلاقية والعلمية والعملية، ولكن الاغترار بالقوة والإصرار على الاستكبار، اقتضى جريان سُنّة الله التي لا تحابي أحداً؛ بإهلاك الظالمين بعد الإنذار، ونصرة دعاة الحق، والتمكين لهم، وامتنان الله على المستضعفين المؤمنين بالاستخلاف في الأرض.

الكلمات المفتاحية: دعوة، موسى عليه السلام، فرعون، ملأ فرعون، المستضعفون.

Abstract:

This study deals with the Da'awa of Moses, PBH, to Pharaoh and his people, through the texts of the Holy Quran in order to stand on the most important foundations and purposes of the call to God, which should be considered by the preacher in his advocacy activity. So; It was more

appropriate to employ the thematic approach, that is based on induction, collection of scientific material, and then the analysis to develop lessons.

It turns out that one of the reasons for his call, peace be upon him, is the growing injustice and corruption of the ruler. So its primary purpose was to advocate for Tawhid and reform. The preacher's character has gathered all the factors and elements of success; physical, moral, scientific and practical, but the arrogance by force and the insistence on behaving arrogantly necessitated the habit of God, which does not favor anyone; the destruction of the oppressors after the warning, and giving victory to the advocates of truth and the oppressed believers.

Key words: Da'wa, Moses peace be upon him, Pharaoh, Pharaoh's people, the oppressed ones.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

لقد خلق الله الخلق لغاية عظيمة ألا وهي عبادته وحده سبحانه، ولأجل أن تتحقق هذه الغاية أرسل الله الرسل داعين؛ معرفين الناس بربهم ومعرفين بكيفية عبادته. إلا أنّ الناس ليسوا كلهم من طينة واحدة، ولا من معدن واحد؛ إذ منهم الكريم ومنهم اللئيم، منهم صادق الرغبة ومنهم المكابر المعاند، منهم من آمن بالرسول ومنهم من حاربهم.

فجاء هذا البحث من أجل النظر في دعوة واحد من هؤلاء الرسل، أرسله الله تعالى إلى واحد من أعتى البشر وأجرئهم على الله، دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه، نظرة موضوعية تحليلية في المكونات الأساسية لتلك الدعوة؛ الداعية، والمدعو، وأسباب الدعوة، وأغراضها، وتأسيسها، ودلائل صدقها، وموقف من أرسل إليه بها منها، ونتائجها، قصد الوقوف على أهم الأسس والمقاصد والضوابط التي تقوم عليها الدعوة إلى الله. وعلى هذا يمكن أن تصاغ إشكالية البحث على النحو الآتي: ما الذي يمكن الوقوف عليه من

أسس وضوابط ومقاصد الدعوة إلى الله من خلال دراسة دعوة موسى - عليه السلام - لفرعون وقومه؟

فكان المنهج الأنسب في البحث للإجابة على هذه الإشكالية هو المنهج الموضوعي الذي يعتمد على استقراء نصوص القرآن الكريم المتحدّثة عن دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه ثم تحليلها لاستنباط الجواب القرآني عن هذه الإشكالية.

والدراسة الموضوعية لدعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه لها أهمية كبيرة لفوائدها الغزيرة، إذ هي من أكثر الدعوات ذكرا في القرآن الكريم، وكذلك هي مهمة لأنها كانت متوجهة لأقوى الناس وأعताهم وأطغاهم ولحاشيته وقومه، فالدعوة لمن هو أقل شأنا منه ستكون أسهل إذا استفاد منها الداعية.

ويهدف هذا البحث إلى الاستفادة من الوقوف على أهم أسس ومقاصد دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه من أجل تعميمها على كل دعوة إلى الله مهما يكن الداعية ومهما يكن شخص المدعو. امتثالا لقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾ (الأنعام: 90).

وبغية علاج الإشكالية المطروحة وتحقيق الهدف المنشود جاءت خطة البحث على النحو الآتي:

المطلب الأول: التعريف بالداعية -موسى عليه السلام- وتحليل شخصيته

المطلب الثاني: التعريف بالمدعو -فرعون وقومه- وأسباب قيام الدعوة له

المطلب الثالث: أغراض قيام دعوة موسى لفرعون وقومه

المطلب الرابع: الموقف التأسيسي للدعوة وتحليله

المطلب الخامس: موقف المدعوين -فرعون وقومه- من الدعوة ومن براهينها وعاقبتها

المطلب السادس: نتائج الدعوة والعبر منها

خاتمة.

المطلب الأول: التعريف بالداعية - موسى عليه السلام - وتحليل شخصيته الفرع الأول: التعريف بموسى عليه السلام

موسى عليه السلام نبي من أنبياء الله ورسول من أولي العزم من رسله. وهو مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ قَاهِثَ بْنِ عَازَرَ بْنِ لَاقِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَام. واسم أم موسى يابوخ وقيل أياذخت. وأخوه: النبي هارون عليه السلام؛ قَالَ تَعَالَى: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} (مريم: 51-53). تبنّاه فرعون وامراته بطلب منها، لأنها أحبته لما رآته؛ قَالَ تَعَالَى: {وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي} (طه: 39)، ولأنّه لم يكن لهما ولد، ولأن الله أراد له ذلك عناية به؛ قَالَ تَعَالَى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه: 39)؛ أي تطعم وترفه وتغذى بأطيب المأكّل، وتلبس أحسن الملابس بمرأى مني، وذلك كله بحفظي وكلاعتي لك فيما صنعت بك ولك. وكان ذلك لما التقطه آل فرعون من اليمّ، بعد أن ألقته أمّه فيه خوفا من أن يقتله جنود فرعون بأمر منه بقتل المواليد الذكور، بسبب خوفه من النبي الموعود من بني إسرائيل الذي يكون في ذلك الزمان، والذي جاءه خبره أنّه يكون هلاك ملك مصر على يديه؛ قَالَ تَعَالَى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} * فَالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} (القصص: 1-9).

ولما استقرّ بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة فلم يقبل ثديا ولا أخذ طعاما، فأرسلوه مع القوايل والنساء إلى السوق، لعلّهم يجدون من يوافق رضاعته. فدلّتهم أخته على أمّه دون أن تُظهر أنّها تعرفه. فلما أرضعته التقم ثديها وأخذ يمتصه ويرتضعه، ففرحوا بذلك فرحا شديدا. فأرسلته آسية معها، وربّبت لها رواتب، وأجرت عليها النفقات والكساوى والهبات، فرجعت به تحوزة إلى رحلها

وقد جمع الله شمله بشملها⁽¹⁾؛ قال تعالى: { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ { (القصص: 11-13). قال ابن الجوزي: " قال المفسرون: مكث عند أمه حتى فطمته، ثم ردتته إليهم، فنشأ في حجر فرعون وامراته واتخاذاه ولداً⁽²⁾ ".

الفرع الثاني: تحليل شخصية موسى عليه السلام

إن تحليل شخصية الداعية-موسى عليه السلام- يكون من خلال معرفة صفاته وخصائصه.

أ- صفاته عليه السلام:

يكشف استقراء الآيات القرآنية عن جملة من الصفات التي تميزت بها شخصية النبي موسى عليه السلام، وهي:

1. إحسان العمل: قال تعالى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (القصص: 14). ومعنى الآية أنه لما كان محسناً آتاه الله حكماً وعلماً. قال السعدي: " نعطيهم علماً وحكماً بحسب إحسانهم، ودلّ هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام " ⁽³⁾.
2. الفقه في الدين والعمل به: قال تعالى: { وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا } (القصص: 14). جاء في جامع البيان عن مجاهد قال: "

1 - ينظر قصص الأنبياء: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، الجزائر، دار البصائر، ط: 1، 1433هـ / 2012م، من ص 211 إلى ص 215.

2 - ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى الجديدة، 1423هـ - 2002م، ص 1059.

3 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1423هـ-2002م، ص 613.

الفقه والعمل قبل النبوة " ⁽¹⁾، فليس المقصود بذلك النبوة وإنما الفقه في الدين، وهو دين بني إسرائيل القائم على التوحيد. ويدل على ذلك قوله عليه السلام حين قتل القبطي من غير قصد: { هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ } (القصص:15). وقوله: { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } (القصص:16)، وقوله: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ } (القصص:17)، وقوله: { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ } (القصص:22)، وقوله: { قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ } (القصص:28). فدللت أقواله على أنه قبل أن يوحى إليه كان موحدا لله متوكلا عليه تائبا إليه مستغفرا من ذنوبه، عالما بعداوة الشيطان للإنسان متبرئا من المجرمين.

3. القوة والأمانة: ويدل عليها قوله تعالى: { فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } (القصص:15)، وقوله تعالى: { قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص:26).

4. نصره المستضعفين وإعانة الضعفاء: قال تعالى: { فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } (القصص:15)، وقال تعالى: { وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا } (القصص:23-24).

1 - ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الدكتور عبد السند حسن يمامة، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م، ج 18 ص 182.

5. عدم إعانة المجرمين: قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ } (القصص:17).
6. تعجيل التوبة إلى الله: قال تعالى: { قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (القصص:15-16).
7. شكر نعمة الله: قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ } (القصص:17).
8. الوفاء بالعقود: قال تعالى: { قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ } (القصص:27-29).
9. الصبر على البلاء: { وَقَتَلْتُ نَفْسًا فَجَنَيْتُكَ مِنَ الْعَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرٍ يَا مُوسَى } (طه:40). جاء في جامع البيان عن الضحاك في قوله: (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) يقول: "هو البلاء على إثر البلاء"⁽¹⁾.
10. الإخلاص لله: قال تعالى: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا } (مريم:51).

ب- خصائصه عليه السلام:

بعد الإلمام بصفات موسى عليه السلام، بقي أن نتعرف على أهم خصائصه، والتي تتمثل في:

¹ - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 16 ص 70.

1. عناية الله الخاصة به ورحمته به: قال تعالى: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طه:39)، وقال تعالى: {وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِّنَ النَّعَمِ} {طه:40)، قال الطبري: " فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك به"⁽¹⁾، وقال تعالى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (طه:41). قال الطبري: "أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتناء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمرى ونهبي" ⁽²⁾. وقال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا} (مريم:53).

2. تكليم الله له: قال تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (القصص:30)، وهو الذي صار به نبيا رسولا، وقال: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} (الأعراف:143).

3. القرب إلى الله: قال تعالى: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} {مريم:52}.

ج- شخصية موسى قدوة للدعاة:

إن شخصية موسى عليه السلام جمعت العديد من الصفات التي من أجلها اختاره الله تعالى أن يكون رسولا منه، إلى مدعوين من نوع خاص بلغوا من الكفر المبالغ العظيم، داعيا وهاديا إليه سبحانه عز وجل. ومن هذه الصفات يقتبس العلماء الدعاة، امثالنا لقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِ} {الأنعام:90}.

1 - نفسه، ج 16 ص 62.

2 - نفسه، ج 16 ص 72.

شخصية موسى عليه السلام **موحدة** لله تعالى على ما كان من دين بني إسرائيل، وهو أول شرط من شروط الداعية إلى الله، إذ كيف يدعوا إلى الله من لا يوحده بل يشرك به.

شخصية تتصف **بالإخلاص**، همّها الوحيد إرضاء الله تعالى وابتغاء وجهه الكريم، لا تريد عرضاً من الحياة الدنيا، وهي صفة ضرورية للداعية إلى الله، تحميه من أن تصرفه الدنيا ومتاعها، من الجنات والعيون والأنهار والقصور المشيدة والأموال الكثيرة والكنوز الفريدة، عن امتثال أمر الله بتبليغ دعوته.

شخصية لا تقتصر على إعلان الإيمان مجرداً عن **العمل**، وإنما الإيمان عندها اعتقاد وقول وعمل. فعلى الداعية أن يكون قدوة للناس في تصديق فعله لقوله واعتقاده، على الداعية أن يكون محققاً للعبودية الحقّة، تذلاً للحق بالعبادة وإحساناً إلى الخلق بالإعانة؛ إعانة الضعفاء على قضاء حوائجهم، ونصرة المستضعفين من بطش قاهريهم. شخصية شعارها **الوفاء** سواء مع الله أو مع العباد تفي بالعهود وتتجز العقود.

شخصية تتصف **بالقوة والأمانة**. فالداعية القوي هو من يمكنه الجهر بالدعوة إلى الله ولا يخشى في الله لومة لائم، هو من ينصر المستضعفين ويعين الضعفاء، هو من يتحمل عبء الرسالة ويحميها ويحفظها ويبلغها. والداعية الأمين هو من يبلغ الرسالة على وجهها، يرعاها ويحفظها ويؤديها كما أمر بها، من غير تحريف ولا تبديل، يجهر بكلمة الحق في وجه سلطان جائر، وفي وجه ضال تائه حائر، وفي وجه طاغية بالمال لنعمة الله ناكر. والقوي الأمين هو من يحفظ قوته من أن تعين المجرمين.

شخصية أوتيت **حكماً وعِلماً**. فالداعية الفقيه العالم الحكيم هو من تسيّر دعوته في الطريق الصحيح، وهو من يسمع له كل ذي عقل رجيح. وهو العالم

بأساليب الدعوة ومناهجها، ووسائل الدعوة ومناسباتها. قال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } (يوسف:108).

شخصية تتصف بالصبر، والصبر مفتاح الفرج، فإن كل داعية إلى الله لابد وأن يمتحن ويؤذى؛ فلا ينبغي أن يحول ذلك بينه وبين الاستمرار في الدعوة، بل هو صابر محتسب، راج من الله تفريج الكرب.

شخصية تشكر الله على نعمه، وتستغفره وتتوب إليه من ذنوبها خوفاً من نقمه. فكما أنّ لكل جواد كبوة كذلك لكل داعية هفوة. فالداعية عليه أن يشكر الله على ما منّ به عليه أن جعله هادياً للناس إليه، وعليه إن حصل منه تقصير أو خطأ في التبليغ أن يُصلح ويستغفر الله ويتوب إليه.

إنّ امتثال الدّاعية لهذه الصفات في نفسه كفيل بتحقيق نوع ممّا اختص به تعالى نبيه ورسوله موسى عليه السلام من الخصائص بالقدر اللائق به كداعية لا كرسول ومن أولى العزم من الرسل، ومن هذه الخصائص:

لَمَّا كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِمَهُ اللَّهِ دُونَ تَرْجَمَانٍ، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ إِلَّا لِنَبِيِّ، كَانَ مِمَّا يَلِيقُ بِالدَّاعِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقُرْآنِ كَلَامَ اللَّهِ، وَمِمَّا قَدْ يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ كَدَاعِيَةً أَنْ يُلْهِمَهُ تَعَالَى فَيَفْتَحَ عَلَيْهِ مَغَالِيقَ أَبْوَابِ الْفَهْمِ وَيُلْهِمَهُ الْحُلَّ وَالْعَقْدَ، وَأَنْ يَكْشِفَ عَلَيْهِ مِمَّا يَكْشِفُهُ لِأَرْبَابِ الْوَلَايَاتِ وَيُلْقِي عَلَيْهِ بِالْفَتْوحَاتِ تَأْيِيداً لِلدَّاعِيَةِ وَتَنْبِيْثاً وَتَوْفِيقاً.

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُقْرَباً إِلَى اللَّهِ، قَرَّبَهُ نَجِيّاً، كَانَ مِمَّا يَلِيقُ بِالدَّاعِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ أَنْ يَقْرِبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، يَسْمَعُ دَعَاءَهُ وَيَفْرَجُ هَمَّهُ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُ.

وَلَمَّا كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ رِعَايَةِ اللَّهِ وَفِي كَنَفِ رَحْمَتِهِ، كَانَ مِمَّا يَلِيقُ بِالدَّاعِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ أَنْ يَرْعَاهُ اللَّهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْحَمُهُ، رِعَايَةً وَحَفْظاً

ورحمة؛ دون ما كان منها للأنبياء بمعجزات، وفوق ما كان منها لعامة المؤمنين من عادة في ذلك، إنّما هي من باب الكرامات للعلماء الدعاة.

المطب الثاني: التعريف بالمدعو-فرعون وقومه- وأسباب قيام الدعوة له

الفرع الأول: التعريف بالمدعو

بتأمل الآيات القرآنية المتحدثة عن دعوة موسى لفرعون، نجد أنّ الدعوة غير مقتصرة على الفرعون وحده، وإنّما تتعداه إلى ملئه، وهم الأشراف المحيطون به ووزرائه وأعوانه، وكذلك تتعدى لقومه وهم الذين هو منهم وهم منه وهم الأقباط. فيمكن أن نقول أن دعوة موسى موجهة لأمة كاملة أمة الأقباط؛ بفرعونهم ووزرائهم وحاشيته وشعبه.

أما عن إرساله إلى فرعون؛ فقد قال تعالى: { وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (الذاريات:38).

وأما عن إرساله إلى ملأ فرعون؛ فقد ذكرهم مقرونين بالفرعون لأنهم حاشيته وأعوانه فهم دائماً معه. فقال: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ } (الزخرف:46)، وقال: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ } (الأعراف 103). قال في قصص الأنبياء: "الملأ من قوم فرعون، وهم الأمراء والكبراء"⁽¹⁾. ولا شك أن الملأ داخلين في قوم فرعون. فحيثما اجتمع القوم والملأ افترقا. وحيثما افترقا فيدخل في القوم الملأ ولا يدخل في الملأ القوم.

وأما عن إرساله إلى قوم فرعون؛ فقد قال تعالى: { وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ } (الشعراء:10-11). وأما عن اشتراك فرعون وقومه في كونهم مدعويين فقال تعالى: { فِي تِسْعِ آيَاتٍ

1 - ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سبق ذكره، ص 238.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} (النمل: 12). ويدخل في القوم حاشيته وشعبه.

الفرع الثاني: أسباب قيام دعوة موسى لفرعون وقومه

بالوقوف على شخصية فرعون من خلال الوقوف على صفاته وأفعاله، وبالوقوف على صفات ملئه وقومه وأفعالهم من خلال نصوص القرآن يمكن الوصول إلى معرفة أسباب قيام دعوة موسى لهم، وهي قائمة أساسا على تلك الصفات والسلوكيات.

أما فرعون، فقد كان ملكا لمصر وكان متنعما، قال تعالى: { وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (الزخرف:51).

وليس الملك والنعيم سببا لدعوته وإنما ما ترتب على ذلك من الطغيان وهو مجاوزة الحد، فقد قال تعالى: { أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه:24)، وقال في إرساله هارون مع موسى: { أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه:43). وبين الله تعالى صورة طغيانه فقال: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا، يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } (القصص:4). ففي الآية وصف لفرعون اقتضى قيام دعوة موسى له وهو الإفساد. وإفساد ذلك الملك كان من عدة نواحي بينها الله تعالى في الآية نفسها وهي:

- استعلاء الملك في الأرض: قال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ } (القصص:4)؛ قال الطبري: " تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعبودة" ⁽¹⁾. ويدل على عبادتهم له قول الملائكة من قومه بعد أن بلغ موسى دعوته لهم: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذُرُ

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 18 ص150

مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ { (الأعراف: 127)، ودل على أنه هو من دعاهم لعبادته قوله تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } (القصص: 38).

- تقسيم الملك رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع ⁽¹⁾: قبط أسياد، وبنو إسرائيل خدم. قال الطبري في قوله تعالى: { وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا } (القصص: 4): "يعني بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة" ⁽²⁾. وذكر الطبري عن الطوائف بسنده عن قتادة: "يُذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة" ⁽³⁾، إلا أن هذا كله كان في طائفة واحدة من أهل مصر وهم بنو إسرائيل وليس في كل أهالي مصر.

- استضعاف الملك لطائفة من طوائف رعيته: قال ابن كثير: " وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض" ⁽⁴⁾. يستعبدهم ويستخدمهم في أحسن الصنائع والحرف وأرذلها وأدناها ⁽⁵⁾، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم. فبالوقوف على شخصية المدعو نجد أنه ملك طاغية متجاوز لحدوده مع الله ومع الناس، بإفساده في الأرض من خلال تكبره على الناس وتجبره عليهم وادعائه الألوهية فيهم، ومن خلال تقسيم شعبه إلى طبقات؛ طبقة أشراف وهم الملأ، وطبقة عامة الناس وهم جنسه من القبط، وطبقة دنيا هي طبقة الخدم وهم بنو إسرائيل، واستضعافه لهذه الطائفة الأخيرة وجعلهم في الأعمال القذرة.

1 - ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سبق ذكره، ص 211.

2 - المرجع السابق، ج 18 ص 151.

3 - نفسه.

4 - ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سبق ذكره، ص 211.

5 - نفسه، ص 211.

ثم استضعافه لهم بتقتيل الولدان الذكور واستحياء النساء لما سمع بخبر نبيّ منهم يكون هلاكه على يديه.

ومن خلال النظر في شخصية فرعون، يُمكن أن نتميّز أنواعا من الظلم الاجتماعي من الملوك والحكام لشعوبهم بيّنها الله تعالى متجسدة في شخصية الفرعون، ولكل زمان فرعونه. فمن أنواع الظلم الاجتماعي والتي تعتبر طغيانا وإفسادا في الأرض التمييز العنصري بين الناس وتقسيمهم إلى طبقات، طبقة حكام وملوك، وطبقة أشرف ووزراء ومستشارين، وطبقة العوام، وطبقة الخدم والأراذل والعبيد. فالله عزّ وجلّ لا يفرق بين حاكم ومحكوم، وبين عرق وعرق، وجنس وجنس، ولون ولون، ولسان ولسان، وغني وفقير، ووزير وحقير، وإثما الجري على قاعدة: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (الحجرات: 13). ومن أنواع الظلم الاجتماعي استضعاف الناس، باستعبادهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا، وقتلهم أو قتل أبنائهم أو استخدامهم في الأعمال الشاقة والقذرة، ممّا لا يطيعه من كرمه الله تعالى.

ومن أعظم أنواع الظلم: ادعاء الألوهية، فيدعو الحاكم الناس إلى عبادته من دون الله، بأن يسن لهم القوانين غير التي سنّها الله تعالى، ويجعلها دستورا لا ينبغي مخالفته، وهي في نفسها مخالفة لشرع الله، يرى أنّها أصلح من شريعة الله، أو أن يحل لهم الحرام ويحرم عليهم الحلال فتلك عبادتهم.

ومن فعل شيئا من ذلك في أي زمان، فسنة الله جارية فيه على مثل ما جرى في الفرعون، على ما سيأتي بيانه لاحقا.

وأما ملأ فرعون، فقد وصفهم الله تعالى بالأوصاف الآتية والتي كانت سببا في إرسال موسى إليهم:

- الملك والظهور: قال تعالى حاكيا على لسان المؤمن الذي كان يكتم إيمانه قوله: { يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } (غافر: 29).

- التمتع بالبساتين وبعيون الماء، وبالذهب والفضة، وبالمقام الكريم: قال تعالى: { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ { (الشعراء: 57-58).

- الاستعلاء على موسى وقومه: قال تعالى: { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ { (الأعراف: 127).

فالحاصل أن الملأ كانوا مشاركين لفرعون في الملك والتمتع بالجنات والعيون ومختلف أنواع النعيم وفي الظهور على بني إسرائيل والاستعلاء عليهم. وينفرد عنهم فرعون بالمقام الأعلى وهو دعوى الألوهية.

ومن هذا يستخلص أن من ركن إلى الملوك الطاغين طامعا فيما عندهم من النعيم المقيم والدر الثمين معينا لهم على قهر المستضعفين واستعبادهم لغير الله فإنه مشارك لهم في الإثم المبين والعذاب الأليم، كما قال تعالى: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ { (هود: 113).

وأما قوم فرعون، فقد وصفهم الله بأنهم ظالمين، وأنهم مع فرعون في الوصف فاسقين. فكان ظلهم وفسقهم سببا في إرسال موسى عليه السلام إليهم. أما ظلهم فقال تعالى: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَفَقَهُونَ { (الشعراء: 10-11). قال الطبري: " يعني الكافرين قوم فرعون" ⁽¹⁾. فكفرهم كان بسبب تألهم لفرعون وعبادته من دون الله. وأما فسقهم فقال تعالى: { فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ { (النمل: 12). قال الطبري: " يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 17 ص 551.

فاسقين، يعني كافرين بالله" (1). أما كفر فرعون فبإدعائه الألوهية وأما كفر قومه فقد سبق بيانه بخضوعهم له عبادة وفسقهم كذلك بتكبرهم على بني إسرائيل واحتقارهم.

فكل من عبد من دون الله من دعاه إلى عبادته بالتزام شرائعه المخالفة لشرع الله، أو حتى إن لم يدعه هو، فهو من الظالمين الفاسقين الذين ينبغي دعوتهم إلى تقوى الله عز وجلّ.

كذلك وصف الله تعالى فرعون وملأه وقومه بأوصاف أخرى ولكنها ليست أسبابا لقيام الدعوة وإنما هي أوصاف اكتسبت نتيجة التكذيب بالدعوة منها أنهم مجرمون، ومسرفون، ومفسدون، وظالمون، وداعون إلى النار، متكبرون، لا يؤمنون بيوم الحساب، مطبوع على قلوبهم، جاهلون، مرتابون. هذا وبعد معرفة أسباب قيام دعوة موسى عليه السلام، يأتي تبعا وتلازما البحث عن أهداف وأغراض قيام الدعوة إذ الغايات مبنية على معرفة الأسباب ومرتبطة بها.

المطلب الثالث: أغراض قيام دعوة موسى لفرعون وقومه

تعددت أغراض دعوة موسى بتعدد مدعويها بين ملك ظالم وحاشية مُعينة وشعب مؤالٍ. فكل جهة غرض.

الفرع الأول: من جهة فرعون وملئه

- دعوة فرعون إلى الإيمان والتوحيد والكفّ عن الطغيان والإفساد: وذلك من خلال التوجه إلى الملك الطاغية بدعوته إلى تركية نفسه من الطغيان، ومنعها من الإفساد، وهدايته وتعريفه برب الأرض والسموات رب البريات، عسى أن يهتدي إلى خشيته سبحانه وتعالى، فيكفّ عن ذلك. قال تعالى: { اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ

رَبِّكَ فَتَخْشَى { (النازعات 17-19)، وقال سبحانه: { أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى { (طه: 43-44).

وفيه : أن من دواعي امتناع وانقطاع أهل الباطل عن باطلهم: التذکر وخشية الله تعالى. ذکر الطبري في قوله تعالى (يتذكر أو يخشى): "يتذكر فيراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه"⁽¹⁾.

- تحرير الموحدين من الاستعباد والعذاب: قال تعالى: { فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِّبْهُمْ { (طه: 47). فدعوة موسى عليه السلام قائمة على نصره الموحدين المستضعفين وذلك من خلال دعوة فرعون إلى تحرير بني إسرائيل من قبضته وعذابه ومن استعباده لهم.
- بيان قدرة الله في إنجاز وعده: قال تعالى: { وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ { (القصص: 6).

الفرع الثاني: من جهة قوم فرعون

أما عن الغرض من إرسال موسى إلى قوم فرعون فهو تحقيق تقوى الله عز وجل في نفوسهم بإقامة التوحيد والعبودية الحق له وحده لا شريك له لا إلى فرعون. قال تعالى: { وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ { (الشعراء: 10-11).

الفرع الثالث: من جهة المستضعفين المؤمنين

وهم بنو إسرائيل فالغرض من الدعوة استخلافهم في الأرض والتمكين لهم. قال تعالى: { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ { (القصص: 5-6).

ومن خلال النظر في أغراض قيام دعوة موسى عليه السلام نجد أنها قائمة على أساس محاربة طغيان الملوك والجباة ومحاربة إفسادهم في الأرض

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 16 ص 75.

وتسلطهم على رقاب الناس، وقائمة على محاربة التمييز والطبقية، وعلى محاربة الترف الذي هو الانصراف عن عبادة الله بسبب الاغترار بالقصور والأموال والجاه والقوة، وقائمة على تحرير الشعوب من ذل استعباد الملوك والجباة وأتباعهم، وقائمة على الدعوة إلى توحيد الله عز وجل. فرسالة كل داعية إلى الله ينبغي أن تكون على نحو رسالة موسى عليه السلام دعوة إلى التوحيد ودعوة إلى المساواة بين الناس وتحقيق العدل بينهم.

المطلب الرابع: الموقف التأسيسي للدعوة وتحليله

قال تعالى عن زمان الموقف التأسيسي للدعوة: { فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ } (القصص:29)، وقال سبحانه عن مكان الموقف: { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } (النازعات:16)، وقال: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ } (القصص:30). ففي ذلك الزمان والمكان كان الموقف التأسيسي للدعوة. والذي وقع فيه هو على النحو المبين في الفروع الآتية.

الفرع الأول: تكليم الله لموسى

قال تعالى: { فلما أتاه نودي يا موسى } (طه:11)، وبين المناادي بقوله: { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } (النازعات:16).

وأما مضمون الخطاب فهو ما يلي:

1- تعريف الله بنفسه:

- عرفه باسمه وصفاته: أنه الله العزيز الحكيم. قال تعالى: { يا موسى إنه

أنا الله العزيز الحكيم } (النمل:9).

- عرفه أنه ربّه: قال تعالى: { فلما أتاه نودي يا موسى * إني أنا ربك

فاخلع نعليك } (طه:11-12).

- عرفه أنه رب العالمين: قال تعالى: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (القصص:30).

- عرفه أنه هو الإله وحده لا إله غيره: قال تعالى: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } (طه:14).

وبالتأمل للآيات التي فيها أن الله عزّ بنفسه نجد أنه عزّ نفسه بذكر ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

فعلى كلّ داعية قبل أن يتصدر للدعوة إلى الله أن يتعرّف عليه أولاً؛ يتعرف على أسمائه وصفاته ويتعلم معانيها لما في الإيمان بأسماء الله وصفاته من آثار عظيمة في الأنس بالله والثقة به ومحبته وعدم الخوف معه وغيرها من الآثار. يتعرّف على ربوبيته وأنه وحده الخالق المالك المدبر لما في الكون فلا قضاء مع قضائه ولا راد لحكمه. يتعرّف على أنه وحده الإله المستحق للألوهية فلا يخضع ويذل لغيره.

2- تعريف موسى بواجباته نحو ربه:

- عبادته وذكره: قال تعالى: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (طه:14).

- بيان الحكمة من أمره بالعبادة: وهي وجود يوم البعث والجزاء. قال تعالى: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلَ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى } (طه:14-15).

- تحذيره مما قد يصرفه عن ابتغاء الدار الآخرة: قال تعالى: { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلَ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصَدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى } (طه:15-16).

وفي تعريف الله لموسى بواجباته نحو ربه توجيه لكل داعية إلى الله أن يتعرّف على أنواع العبادات التي يحبها الله ويرضاها من صلاة وذكر وبتعلّم الإخلاص فيها فيستعين بالصلاة في دعوته ويذكر الله كثيرا عند لقاء عدوّه. وفيه كذلك التحذير من العقبات التي قد تواجه الداعية ومن عاقبة الوقوف عندها، وأن يكون تسليّة له في ذلك علمه بأن الحياة الدنيا فانية وأن الآخرة هي الدار الحقيقة دار الحساب والجزاء والخلود.

3- إخباره باختياره للنبوّة والرسالة: قال تعالى: { وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ } (طه:13).

وفيه أن يعلم كل داعية إلى الله أن الله قد اختاره من بين كثير من الناس لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس فيحمد الله على تلك المكانة وإن كانت تكليفا فإنها لا تخلو من تشريف. وفيه كذلك تشجيع الداعية على أداء وظيفته ببيان أن له من المميزات وفيه من الصفات ما لا يتوفر عليه غيره لأداء تلك الرسالة.

4- إقامة البرهان لموسى بأن من يكلمه هو رب العالمين حقيقة:

من خلال إقامة الأدلة على ذلك والتي لا يمكن أن تكون إلا من رب العالمين. قال تعالى: { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيَظًا مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ * لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ } (طه:17-23). قال ابن كثير: " وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الذي يقول للشيء كن فيكون، وأنه الفعال بالاختيار " (1).

1 - ابن كثير، قصص الانبياء، مرجع سبق ذكره، ص224.

وفيه ومنه ضرورة اقتناع الداعية بما يدعو إليه بما يقوم لديه من دلائل الإيمان، وفيه تزويد الداعية بالحجة الربانية والشحنة الإيمانية.

5- بث الطمأنينة في قلب موسى بعد رؤيته للآيات:

قال تعالى: { وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } (النمل: 10-11). وقال سبحانه: { وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ } (القصص: 31).

وفيه بث الطمأنينة في قلب الداعية بأن لا يخاف لأن الله معه، وأنه لا يخاف إلا من الله إذا أخطأ فظلم نفسه أو غيره فيتوب فيغفر الله له ذنبه. وفيه كذلك حث الداعية على تعجيل التوبة من الذنب إذا أذنب. هكذا ينبغي تكوين الدعاة.

6- بيان أن تلك الآيات ستكون مؤيداته أمام فرعون وقومه:

قال تعالى: { وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ } (النمل: 12). وقال سبحانه: { فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (القصص: 32).

وفيه ضرورة استعداد الداعية لمواجهة المدعوين بحجج الله البينة لا أن يتوجه إليهم بغير زاد ولا حجة ولا عتاد.

7- أمره بالمضي لتبليغ الرسالة:

قال تعالى: { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه: 24). وفيه مضي الداعية إلى المدعوين بعد تلقي التكوين.

الفرع الثاني: موقف موسى من اختيار الله له للرسالة

1- تصريحه بمخاوفه من دعوته فرعون وملئه وقومه:

- مخافة قتلهم له: وصرح أنّ ذلك بسبب ذنبه معهم لا بسبب دعوته. قال تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ } (القصص:33).

وفيه صدق موسى عليه السلام إذ جعل سبب رغبتهم في قتله إنما هو ذنب له معهم، ولو لم يكن كذلك لزمع أنه يخاف قتلهم له بسبب الدعوة؛ يريد بذلك ربط العداوة الشخصية بأمور الدين فَيُنْتَصَرُ له في قضيته الشخصية تحت غطاء الدين. ومنه: على الداعية أن لا يخلط بين الأمور والعداوات الشخصية وبين مشكلات الدعوة.

- مخافة تكذيبهم بدعوته: قال تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ } (الشعراء:12). وموسى عليه السلام هنا لا يخاف تكذيبهم له مجرداً، فهذا أمر معلوم من سنة الله في أعدائه، وإنما خوفه من ردة فعله هو وأنه لا يتحمل تكذيبهم فيضيق بذلك صدره ولا ينطلق لسانه، فلا يحسن جوابهم والرد عليهم. لأجل ذلك طلب مساندة أخيه هارون، الذي هو أفصح منه لساناً، فقال: { وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ } (الشعراء:13).

وفيه معرفة الداعية بنقائصه ومحاولته إصلاحها خدمة للدعوة إلى الله. وهذا التصريح بالخاوف من موسى عليه السلام ليس القصد منه رفض الرسالة وإنما القصد منه طلب الإعانة.

2- طلب موسى المعونة من الله في دعوته:

لمّا علم موسى عليه السلام بعظم المهمة التي كلف بها طلب الإعانة من ربه وذلك من خلال:

- طلب انشراح الصدر: { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } (طه:25).

- طلب تيسير أمر القيام بالدعوة: { وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي } (طه:26).

- طلب ما يسهل وصول الرسالة ويسهل فهمها: { وَأَخْلُفْ عَفْوَءَ مَنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي } (طه: 27-28).

- طلب المؤازر والمعين من البشر: طلب موسى عليه السلام من الله أن يرسل معه أخاه هارون معينا فقال: { وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونُ أَخِي } (طه: 29-30). وقال: { وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ } (القصص: 34). وقال تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونِ } (الشعراء: 12-13).
سبب طلب المعين:

إن طلب موسى للمعين ليس تقاعسا منه وتكاسلا عن الدعوة وإنما هو مصلحة محضة للدعوة لما علمه موسى عليه السلام من أهمية المآزر في الدعوة، وما يراه في نفسه من نقائص يريد أن يكملها بأخيه خدمة للدعوة والرسالة. ومن الأسباب التي ذكرها موسى عليه السلام:

○ ضيق صدره إن لم يصدقوه: قال تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي } (الشعراء: 12-13). قال الطبري: " (وَيَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم إياي إن كذبوني ⁽¹⁾. فيكون هارون عليه السلام مواسيا له، مذكرا، شارحا لصدوره.

○ ما كان بلسانه من عي: فقال عليه السلام: { وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونِ } (الشعراء: 13). وفيه سعي الداعية لاستغلال أحسن الوسائل الدعوية المتوفرة من أجل تبليغ دعوته.

○ إعانته على أداء العبادة: { وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا } (طه: 32-34).

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 17 ص 552.

إنّ الناظر في طلبات موسى عليه السلام يجد فقه هذا الرسول العظيم بمتطلبات الدعوة، فالداعية قبل أن يمضي في دعوته لأبد له من أن ينشر صدره للدعوة، فيقبل عليها وهو راض، بل وهو راغب ونشط وفرح ومسرور بأن يكون من جند الله، داعيا إليه مخرجا للناس من الظلمات إلى النور، وليس انشراح الصدر سببا كافيا لقيام الدعوة بل تحتاج إلى تيسير من المولى عز وجلّ فليس السهل إلا ما جعله الله تعالى سهلا ولا غنى للداعية عن الاستعانة بالله تعالى. ثم علمه عليه الصلاة والسلام بمكانة اللسان في الدعوة إلى الله؛ فحلاوة الأسلوب في الكلام، وجماله ومناسبته وقوته وبيانه كفيل بتخفيف الثقل على النفوس، وبفقه العسير على القلوب والعقول، وبالتالي القبول لمضمون الخطاب بالترحيب. ثم الصديق وقت الضيق، فالإنسان الداعية بحاجة إلى إخوانه يؤازرونه ويواسونه ويصدقونه ويذكرونه في غفلته ويتعاونون معه على الطاعة والذكر.

الفرع الثالث: إجابة الله على مطالب ومخاوف موسى

أ- استجابة الله للطلبات:

حيث أجابه إلى طلب المعين فقال تعالى: { قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ } (القصص:35)، وقال: { فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء:16).

ومما يستشف من اشراك هارون مع موسى في الرسالة؛ حاجة الحق لوزراء ينصرونه ويؤيدونه ويدعمونه لمواجهة الباطل ووزرائه وأعدائه، وهذا إنّما يكون مجارة لسنن الله الكونية ونواميس الحياة، وإلا فالحق منصور وغالب بالله سبحانه ولو كان الداعية وحده لا رفيق له ولا معين إلا الله تعالى. كما جاء في

الحديث أنّه يوم القيامة يأتي "النبي وليس معه أحد"⁽¹⁾، فيأتي كذلك وهو منصور لوعده الله تعالى: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (غافر: 51).

وأجابه كذلك إلى بقية طلباته عليه السلام فقال تعالى: { قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى } (طه: 36).

ب- تبديد المخاوف:

من خلال بث الطمأنينة في قلبه بالبشارة بعصمته له ولأخيه من فرعون وملئه وأنهم لن يقتلوه لأن الله معهما بالحفظ والتأييد بآياته فقال تعالى: { وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا } (القصص: 35). قال الطبري: " فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء"⁽²⁾، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: { وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } (الشعراء: 14-15).

ومن خلال بث الطمأنينة في قلبه ببشارته بخلبتهم وأتباعهم لفرعون وملئه. قال تعالى: { أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ } (القصص: 35). وفيه انتصار الحق وأهله على الباطل وأهله. وبث الطمأنينة في قلب الداعية. ومن إجابة الله لطلبات موسى عليه السلام وتبديد مخاوفه تظهر إعانة الله لرسله وحفظه وتأنيده ونصرته لهم. فكل من سار على طريق هؤلاء الأنبياء في الدعوة إلى الله فله حظ من الحفظ والنصرة والتأييد والبشائر.

الفرع الرابع: إرسال موسى وهارون إلى فرعون وقومه

1 - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م. ج 1 ص 174، وابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1993 م. حديث رقم 6430 ج 14 ص 339، قال الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

2 - نفسه، ج 18 ص 253.

قال تعالى: { ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ } (المؤمنون: 45-46).

أ- خطاب الله لموسى وهارون عند إرسالهما لفرعون وقومه:

1- أمرهما بالذهاب إلى فرعون: قال تعالى: { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } (طه: 42-43)، وتضمن الأمر ههنا تشجيعا وتنشيطا وتحفيزا لهما للسعي في تبليغ الرسالة. فقال تعالى: (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي). قال الطبري: "يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أفئدتكما؛ لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نَعَمًا جَمَّةً، ومننا لا تحصى كثرة"⁽¹⁾.

2- تعليمهما ما يقولان لفرعون وقومه: قال تعالى: { فَاتَيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } (طه: 47-48).

وفيه ضرورة تكوين الداعية بتعليمه ما يقول أو تعليمه مضمون الخطاب الدعوي.

3- تعليمهما أسلوب خطاب المدعويين وتبليغ المقول: فمضمون الخطاب لا بد وأن يكون في قالب سليم وهو اللسان المبين وبالأسلوب المناسب للمقام. قال تعالى: { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه: 43-44). قال ابن كثير: " وهذا من حلمه تعالى وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه، مع علمه بكفر فرعون وعتوه وتجبره، وهو إذ ذاك أردى خلقه، وقد بعث إليه صفوته من خلقه في

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 17 ص 73.

ذلك الزمان، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعوا إليه بالتّي هي أحسن برفق ولين، ويعامله بالطف معاملة من يرجوا أن يتذكر أو يخشى⁽¹⁾.

وفيه ضرورة تكوين الداعية ببيان أسلوب الدعوة المعتمد على اللين والرفق.

4- تعليمهما ما يستعينان به عند مواجهة المدعويين:

قال تعالى: " اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري " طه 42. قال في قصص الأنبياء: "يعني ولا تفترا في ذكري إذا قدمتما عليه ووفدتما إليه، فإن ذلك عون لكما على مخاطبته ومجاوبته، وأداء النصيحة إليه وإقامة الحجة عليه"⁽²⁾. أي الاستعانة بذكر الله عند لقاء العدو المدعو.

ب- جواب موسى وهارون عن إرسالهما لفرعون وقومه:

إعلانهما لمخاوفهما وللمصاعب التي يمكن أن تواجههما. وليس ذلك رفضا للرسالة، وإنما من أجل الحصول على التوجيه الرباني لهما في طريقة مواجهة تلك الأمور المخوفة.

قال تعالى: { قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى } طه: (45)، قال الطبري: " أن يعجل علينا بالعقوبة "⁽³⁾، وقال ابن الجوزي: " قال ابن زيد: نخاف أن يعجل علينا قبل أن نبليّغه كلامك وأمرك "⁽⁴⁾. وقال في

1 - ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سبق ذكره، ص 229.

2 - نفسه

3 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 16 ص 76.

4 - ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سبق ذكره، ص 906.

معنى طغيانه: "قوله تعالى: أَوْ أَنْ يَطْغَى فِيهِ قَوْلَان: أحدهما: يستعصي، قاله مقاتل. والثاني: يجاوز الحد في الإساءة إلينا"⁽¹⁾.

وعن سبب خوفهما منه؛ قال ابن كثير: "وذلك أن فرعون كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا، له سلطان في بلاد مصر طويل عريض، وجاه وجنود، وعساكر وسطوة، فهاباه من حيث البشرية، وخافا أن يسطو عليهما في بادئ الأمر، فثبتهما تعالى وهو العلي الأعلى"⁽²⁾.

ج- جواب الله عن مخاوف هارون وموسى:

قال تعالى: { قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } (طه: 46). وفيه بث الطمأنينة في قلب الداعية بأن الله معه يسمع ويرى.

المطلب الخامس: موقف المدعوين -فرعون وقومه- من الدعوة ومن براهينها وعاقبتها

الفرع الأول: براهين الدعوة

لم يُرسل موسى وهارون عليهما السلام من دون حجة لهما، وإنما أرسلنا بآيات من الله دالة على صدق دعوتهما؛ قال تعالى: { فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } (النمل: 12).

واختلف المفسرون في إحصائها ولعلها والله أعلم: العصا، واليد وهما آيتان اثنتان؛ قال تعالى: { فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ } (القصص: 32)، وآية أخرى في قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ } (الأعراف: 130)، وخمسة أخرى في قوله تعالى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ } (الأعراف: 133)، فهذه ثمانية، والتاسعة: الطمس الذي دعا به موسى على فرعون

1 - نفسه.

2 - ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 230.

وقومه، حيث قال تعالى: { وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } (يونس: 88). قال ابن الجوزي: " وقال مجاهد: مسح الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع" (1).

والم تأمل في جميع هذه الآيات يلحظ أنها حسية وهي قائمة لتدعيم الدلائل والبراهين العقلية التي قدم بها موسى لدعوته لفرعون وملئه، فهي البراهين على صدق دعوى موسى في أنه مرسل من رب السماوات والأرض ومن باب أولى براهين على وجود ذلك الرب، فمتى لم يسلم فرعون بالحجج والبراهين العقلية والآيات الكونية أتى بخوارق العادات الحسية الدالة على وجود المتصرف في الكون الذي يقول للشيء كن فيكون، وجريانها على من يدعي النبوة دليل على صدقه في ادعائه.

هكذا الداعية إلى الله؛ حتى وإن لم تجر على يديه خوارق العادات فإن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لازالت حاضرة في كتاب الله وسنة نبيه، فيستشهد بالتاريخ ووقائع الزمان على ما كان من ذلك، ولا تزال معجزة الله الكبرى باقية إلى آخر الزمان، وهي القرآن الكريم، شاهدة على صدق رسالة الإسلام. كما ينبغي استعمال الحجج والبراهين العقلية المستوحاة من آيات الله الكونية ونواميسه في الأنفس والآفاق.

ووصف الله تعالى آياته المؤيدة لموسى بعدة أوصاف فقال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (النمل: 13)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

1 - ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سبق ذكره، ص 635.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا { (الاسراء: 101-102).

وقال تعالى: { وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا } (الزخرف: 48). فوصفها بأنها بينات وأنها مبصرة وبصائر، وأنها يصدق بعضها بعضها. قال الطبري في معنى كونها بينات: " تثبت لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته"⁽¹⁾. وأما عن كونها مبصرة؛ فقال رحمه الله: " يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه"⁽²⁾. وأما عن كونها بصائر: فقال رحمه الله تعالى: " يعني بالبصائر: الآيات، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدى لمن اهتدى بهنّ، يعرف بهنّ من رآهنّ أن من جاء بهنّ فمحقّ، وأنهنّ من عند الله لا من عند غيره، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض، وهو جمع بصيرة"⁽³⁾.

وفيه ضرورة استصحاب الداعية للحجج والبراهين على صدق الدعوة التي يدعو إليها وفيه كذلك أن تكون تلك الحجج والبراهين واضحة بيّنة يبصرها كل عاقل وتبصره بالحقيقة، وأن يصدق بعضها بعضها. وفيه كذلك أنه كلما تعدّدت الحجج والبراهين كان ذلك أدعى للاقتناع والإجابة.

الفرع الثاني: موقف فرعون وقومه من البراهين ومن الدعوة عموماً

عرض موسى عليه السلام آيات الله على فرعون وملئه وقومه في مناسبات مختلفة، إذ لم تجتمع كلها في موقف واحد، إلا أن موقف فرعون وملئه وكثير من قومه حتى وإن اختلف في بداياته⁽⁴⁾ فإن نهاياته واحدة لم تتبدّل وهي كفرهم وتكذيبهم بها. قال تعالى: { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 15 ص 99.

2 - نفسه، ج 18 ص 22.

3 - نفسه ج 15 ص 108.

4 - إذ أنهم لما جاءهم الرجز وهو العذاب الذي في البراهين الخمس أظهروا أنهم سيؤمنون لو رفعه الله عنهم.

بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَظَلَمُوا بِهَا } (الأعراف:103). قال الطبري: "يقول: فكفروا بها"⁽¹⁾.

فوصفه فرعون بالسحر فقال تعالى: { فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا } (الاسراء:101). وجوز الطبري أن يكون مسحورا بمعنى: ساحرا⁽²⁾. فقال ملأ فرعون وقومه بمقولته. وبناءً على زعم أن موسى عليه السلام ساحر؛ قالوا عن آيات الله المؤيدة لموسى بأنها سحر؛ قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى } (القصص:36)، وبالرغم من تكذيبهم بالآيات إلا أنهم أقروا بعظمتها؛ قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } (النمل:13).

واحتجوا في تكذيبهم لموسى بعدم سماعهم بمثل دعوته في الأمم السابقة، قال تعالى: { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ } (القصص:36). وهكذا هم أهل الباطل إذا ما هم قورعوا بالدليل البين الظاهر احتجوا بما كان عليه أسلافهم. ثم بين الله تعالى كذبهم فيما احتجوا به على تكذيبهم لموسى، وبين أن تكذيبهم بالآيات جحدٌ منهم وليس لعدم التيقن منها، وأن جحودهم له أسبابه الحقيقية، وهي ظلمهم واستعلاؤهم؛ قال تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } (النمل:14).

وفيه أن أهل الباطل أتباع الهوى، ممن لم تصدق نيّاتهم في طلب الحق، مهما تعرض عليهم الحجج والبراهين فإنهم ينكرونها ويجحدونها. فكذب فرعون وملأه وقومه بدعوة موسى عليه السلام؛ قال تعالى: { فَكَذَّبُوهُمَا } (المؤمنون:48)، وكان الدافع لتكذيبهم استكبارهم، قال تعالى:

1 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 10 ص 341.

2 - نفسه، ينظر ج 15 ص 106.

فَاسْتَكْبَرُوا { (المؤمنون:46)، وعن سبب استكبارهم قال تعالى: {وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} (المؤمنون:46)، قال السعدي: "أي وصفهم العلو، والقهر، والفساد في الأرض، فلهذا صدر منهم الاستكبار، ذلك غير مستكثر منهم"⁽¹⁾. ووجه استكبارهم احتقارهم للمرسلين أن قومهما عبيد لديهم، قال تعالى: {فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} (المؤمنون:47).

وفيه أن من أسباب الاستكبار عن الحق الاغترار بالقوة والقهر وبالمكانة العالية والجاه، واحتقار الدعاة بسبب بساطتهم وتواضعهم وتواضع منزلتهم الاجتماعية والسياسية.

الفرع الثالث: عاقبة تكذيب فرعون وملئه بدعوة موسى وهارون

عاقبة التكذيب أن جمع الله لفرعون وملئه بين عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة. فأخبر الله تعالى أنه أتبعهم في الدنيا لعنة فقال: **{وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} (القصص:42)**، قال طبري: "يقول تعالى ذكره: وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ"⁽²⁾. فأهلكهم، قال تعالى: **{فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} (المؤمنون:48)**، ثم بيّن طريقة إهلاكهم فقال تعالى: **{ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (القصص:40)**. وقال تعالى: **{ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا} (الإسراء:103).**

1 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سبق ذكره، ص 553.

2 - الطبري، تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 18 ص 258.

وفي الآخرة قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ} (القصص:41). قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: ويوم القيامة لا ينصرهم من الله إذا عذبهم ناصر، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون، فاضمحت تلك النصر يومئذ" (1). وقال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} (القصص:42). قال السعدي: "المبعدين، المستقدرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم" (2).

المطلب السادس: نتائج الدعوة والعبر منها

الفرع الأول: نتائج الدعوة

يمكن تلخيص نتائج الدعوة في: إنجاز الله وعده.

فأنجز الله وعده لموسى عليه السلام وأخيه هارون بإخراج أهل الكفر من النعيم الذي كانوا فيه، قال تعالى: { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } (الشعراء:57-58)، ويندمر ما كان يعرش فرعون وقومه فقال تعالى: { وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } (الأعراف:137)، وأبقى على بعض منه ليكون شاهداً للأجيال بعدهم على ما كانوا عليه من القوة والجبروت، ليقوم في الأخير بإهلاك فرعون وقومه، قال تعالى: { ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ } (الشعراء:66).

كما أنجز الله وعده لموسى وقومه بإنجائهم من بطش فرعون وبتحرير بني إسرائيل من قبضته فقال تعالى: { وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ } (الشعراء:65)، ثم بتوريتهم الأرض وما فيها من النعيم واستخلافهم فيها، قال تعالى: { وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } (الأعراف:137).

1 - نفسه، ج 18 ص 257.

2 - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سبق ذكره، ص 617.

(الأعراف:137)، وقال تعالى: { وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ } (الاسراء:104). وقال سبحانه: { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ } (الشعراء:57-59).

وفيه استبشار الداعية بنصر الله تعالى وانجاز وعده الذي قال عنه: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (غافر:51).

الفرع الثاني: من عبر دعوة موسى لفرعون وقومه

إن العبر في دعوة موسى لفرعون وقومه كثيرة جدا لا يكاد يحصيها المجتهد، لأجل ذلك لا يزال العلماء والباحثون ينظرون فيها بالتدبر والتأمل. والذي ورد في القرآن الكريم بعض يسير من تلك العبر تاركا المجال فسيحا للعلماء أن يجتهدوا في استخراجها والوصول إليها من خلال عرض حوادث الدهر المتنوعة المشابهة عليها. ونظرا لإيجاز هذا البحث، بما اقتضاه الحال، كان الاختصار على ذكر العبر التي وردت بها الآيات، فجاء في القرآن منها:

1- أن الصبر من أسباب النصر؛ قال تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } (الأعراف:137).

2- أن إنزال الله العقوبة بمكذبي الرسل سنة جارية في الأولين والآخرين بعد إعدارهم وإنذارهم، فقال سبحانه: { فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ } (الزخرف:56).

3- أن في عقاب الله لفرعون بسبب طغيانه عبرة لمن يخشى الله، قال تعالى: { فَآخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى } (النازعات:25-26)، وقال تعالى: { ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } (الشعراء:66-67).

4- عزة الله في انتقامه من عدوه ورحمته في نصرته لوليه؛ قال تعالى: {وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الشعراء: 65-68)، عزيز في انتقامه من عدوه رحيم في نصرته لوليه.

الخاتمة:

من خلال البحث تمّ التوصل إلى النتائج التالية:

- ضرورة التوجه بالدعوة للناس جميعا مهما كانت مكانتهم في المجتمع حكاما أو حكومات أو شعوبا.
- ضرورة تعاون الدعاة في الدعوة إلى الله ومساندة بعضهم بعضا. وأن يستعين الداعية بكل الوسائل المتاحة المشروعة من وسائل الإعلام والاتصال.
- على الداعية إلى الله محاربة أنواع الظلم الاجتماعي مثل التكبر على الناس بسبب الترف، وإعلان الألوهية فيهم، وتقسيم المجتمع إلى طبقات، والتمييز العنصري، واستضعاف طائفة من الناس واستعبادهم واستخدامهم في أحقر الأعمال، وقتل أبنائهم.
- على الداعية محاربة ظاهرة الركون إلى الظلمة والاعتراض بالقرب منهم، بنصح الناس بأن يبتعدوا عنهم ولو كان عندهم ما يرجون من المال والجاه ولا يخالطوهم فتمسّهم النار.
- على الداعية دعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الحكام والملوك، وكذلك دعوتهم إلى اجتناب كل مظاهر الفسق وترك احتقار الضعفاء من الناس.

- إن محاربة الظلم والظلمة لا يعني قتالهم وتحرير المظلومين منهم فقط دون دعوتهم، بل تجب دعوتهم إلى الإيمان وتركية أنفسهم وخشية ربهم وتوحيده.
- من أساليب الدعوة اللين ولو مع أطمى الطغاة، ومن أساليب الدعوة الموعظة الحسنة.
- أن من أغراض الدعوة تحقيق حرية الإنسان. وكذلك يقتدي به كل داع.
- أن الله يريد التمكين لأهل التوحيد في الأرض، فعلى أهل التوحيد أن يتخذوا أسباب التمكين.
- تعريف الله تعالى نفسه لموسى عليه السلام بربوبيته وألوهيته وبأسمائه وصفاته فيه إشارة إلى ضرورة تكوين الداعية من جهة التوحيد.
- تعريف الله تعالى لموسى عليه السلام بواجباته نحو ربه، فيه ضرورة تكوين الداعية من جهة الشريعة.
- بيان الله للحكمة من ضرورة إقامة توحيده، وهي وجود الحياة الآخرة، فيه ضرورة تكوين الداعية من جهة العقيدة.
- تحذير الله تعالى لموسى من أن يصرفه أتباع الهوى عن طلب الآخرة. وفيه ترغيب الداعية للمضي لدعوته بثواب الآخرة وتحذيره من اتباع الظلمة ورفقة السوء.
- بث الله اليقين في موسى بأن من يكلمه هو رب العالمين فعلا من خلال آياته البينات. وفيه ضرورة اقتناع الداعية ويقينه مما يدعو إليه.
- تشجيع الدعاة على خوض غمار الدعوة دون خوف إلا من الله أو من خطأ أنفسهم وذنوبهم ومع ذلك فإن ربهم غفور رحيم بهم إذا تابوا من ذنوبهم وأخطائهم.

- عدم استغلال الدعوة في قضاء المصالح الشخصية، فيجب على الدعاة التمييز بين ما هو شخصي وبين ما هو متعلق بالدعوة.
- على الداعية استقراغ الجهد في إقناع المدعويين وعدم الرجوع بمجرد حصول التكذيب منهم. وكذلك محاولة إصلاح مواقع النقص والخلل في نفسه وفي متعلقات دعوته.
- على الداعية أن يستعين بالله تعالى بسؤاله أن ييسر أمره ويشرح صدره إذ انشراحه له أثر عظيم على نجاح الدعوة بخلاف التقاعس والتكاسل.
- سنة الله جارية بنصرة الحق وأهله على الباطل وأهله في الدنيا والآخرة، وعقوبة أهل الباطل تكون في الدنيا والآخرة. وأن النصر مع الصبر.
- تضمن إرسال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام تحفيزاً وتنشيطاً للدعوة وهكذا ينبغي على ولاة أمر المسلمين تحفيز وتنشيط الدعاة إلى الله بمختلف المحفزات المشروعة.
- على الداعية إلى الله أن يعدد وينوع الحجج والبراهين الدالة على صدق دعواه انطلاقاً من آيات الله الكونية في الأنفس والآفاق إلى آياته الشرعية وشهادة الواقع والحس، وأن تكون براهينه مبيّنة للمراد ومبصرة للحق وبصائر للناس.
- عادة أهل الباطل الكفر بدعوة أهل الحق والإيمان ورميهم بالثّهم الباطلة من أجل صرف الناس عنهم. وفي حصول مثل ذلك للأنبياء تسلية للدعاة فعليهم الاقتداء بهم في الصبر.
- لا يعني التكذيب بالضرورة ضعف الحجة، وإنما قد يكون بسبب الجحود.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن العظيم.

- ابن بلبان، الأمير علاء الدين علي الفارسي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق

وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ-1993م .

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، بيروت لبنان، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى الجديدة، 1423 هـ - 2002 م.
- ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر. الدكتور عبد السند حسن يمامة، القاهرة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة. الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق ومقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م.
- عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، دار البصائر للنشر والتوزيع/الجزائر. الطبعة الأولى، 1433 هـ / 2012 م.